النص وفعل التوجيه

مقاربة لمسألة التوجيه الحجاجي في آيات من سورة الأعراف أنموذجا

Text and the act of instructing

An approach to the question of argumentative instructions, in some Quranic verses from 'Surat of Araf'

د. كمال بخوش *

تاريخ الإرسال: 2020/ 12	تاريخ القبول:2020/09/05	تاريخ النشر:2020/12/30

الملخص:

إن مقاربة أي نص مقاربة حجاجية ، تجعل الباحث ينطلق أساسا من المعطيات التي يقدمها له النص في صورة توجيهات ، سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة ، وهي التوجيهات التي تمثل معالم يهتدي بها المتلقي في فعله القرائي وهو يروم الوصول إلى مقاصد النص ،ملتزما في ذلك بضوابط خاصة في كل مسالك القراءة و مراحلها، لذا فإن فعل القراءة ذاته يراهن أساسا على قدرة المتلقي على تمثله لتلك التوجيهات المنضوية في ثنايا النص ، وهي القضية التي نجدها في أدبيات الدرس التداولي عموما والحجاجي خصوصا موسومة بمصطلح : **التوجيه الحجاجي** ، هذه المسألة سنحاول مقاربها هنا من خلال نماذج من سورة الأعراف. مسيّجين البحث بالسؤالين التاليين : ما مفهوم التوجيه الحجاجي في المنجز التداولي الغربي المعاصر ؟ و كيف يمكن تلمس هذه المسألة في القرآن الكريم من خلال بعض الآيات سورة الأعراف ؟

- كلمات مفتاحية : متكلم ، نص ، قارئ، توجيه حجاجي.

Abstract:

To study a text argumentatively, researchers start basically from the data provided by the text in a form of direct or indirect instructions. These help the reader to discover the text's objectives, which means that the reader is confronted with the power of instructions, which limit his interpretation of the reading text. So, the act of reading itself depends on the reader's ability

المؤلف المرسل: كمال بخوش kamel.bekhouche@yahoo.fr

* **قسم اللغة والأدب العربي،جامعة المدية، الجزائر** kamel.bekhouche@yahoo.fr

of understanding the instructions included in the text. This issue is known in pragmatics and argumentation by: argumentative instructions, the topic we want to tackle in this paper through samples from 'surat of Araf'. So, What is meant by argumentative instructions in the western contemporary pragmatics? And How is it possible to deal with this issue in the holly Quran?

Key words:
Speaker- text- reader- argumentative instructions.

1- مقـــدمة:

إن المطلع على المنجز اللساني الغربي عموما و التداولي خصوصا ، يجد أن مختلف الدراسات والأبحاث تتوجه إلى الوقوف عند حدود إمكانيات النص اللغوية التي تؤطر فعل التبليغ و توجّهه بما يتواءم مع مقاصد المتكلم ، هذا من منطلق أن أي نص يتضمن **إرشادات** تمثل **التوجيهات** اللازمة التي يتكئ عليها المؤوِّل في قراءته للنص، وهذا بالبحث في بنية الخطاب عن المعطيات التي تفيد بصورة ما في بناء المعنى، و هي **إرشادات حجاجية بالدرجة الأولى** ، تحدد لنا المسارات التي ينبغي اتباعها لإسناد معنى محددا للملفوظ من بين كل المعاني المحتملة ، لذا فإنّ فهم سيرورة أي خطاب أولا ومن ثم تحليله ثانيا يتطلب من القارئ النظر في التوجيه القرائي الذي يقدمه النص ذاته ، وهو الذي لا يمكن رصده دون الاستناد الى الحمولة الدلالية الثاوية في مفرداته ، والتي تؤدي دورا هاما في تسييج فعل القراءة على نحو معين ، وهو ما نجده في أدبيات البحث اللساني عموما و التداولي خصوصا موسوما بـ: **التوجيه الحجاجي**.

1- الخلفية المعرفية لمسألة التوجيه الحجاجي : [1]

إنَّ النظرية الحجاجية التي طوَّرها **أوزوالد ديكرو** (O.Ducrot) و **جون كلود أنسكومبر** (j.c.anscombre) **ترى أن مسألة التوجيه الحجاجي هي مكون من مكوّنات للبنية الداخلية للغة ذاتها**، وهو منطلق نظريتهما الحجاجية التي تستمد مشروعيتها من رؤية التداولية المدمجة (La pragmatique intégrée)،التي تنطلق من مبدأ **أن اللغة تتجاوز البعد الوصفي التمثيلي إلى البعد الإنشائي / العملي للكون**. وعلى هذا الأساس

فإنَّه في المستوى الدلالي نجد أن الوقائع الدلالية لا تتعلق بالقيمة الصدقية للأقوال بقدر ما تتعلق بالقيمة الحجاجية و الإنجازية لها. ومن هذا المنطلق يرى **أوزوالد ديكرو** O. (Ducrot)- من خلال جل أعماله المقدمة - أن تركيز البحث يجب أن يكون على **العلامات المنطبعة في بنية اللغة، التي لها دور أساسي في توجيه المعنى وحصره**، ، و هو التوجيه الذي له دور مهم في المستوى الإنجازي للغة.

2- العوامل الحجاجية و مفهوم التوجيه :

3-1- تصور أوزوالد ديكرو للعامل الحجاجي:

يرى ديكرو أن أي عبارة لغوية تتضمن إرشادات ، هي عبارة عن مجموعة من التوجيهات تقدمها للمؤوِّل ، والذي هو مطالب بالبحث في بنية الخطاب عن المعطيات التي تفيد بصورة مافي إعادة بناء المعنى الذي يقصده المتكلم، كون هذه الإرشادات(الحجاجية) تقوم بتعيين الخطوات التي ينبغي إتباعها لإسناد معنى محدد للملفوظ[2]، ومن هذا المنظور فإن التركيز في أي قراءة يجب أن يكون على تلك العلامات المنطبعة في بنية اللغة، والتي لها دور أساسي في تحديد **القيمة التوجيهية/ الحجاجية للنص**.

3-2- تصور جاك موشلر (Jacques Moeschler) :[3]

يقول موشلر : " إذا كانت مجموعة (أ) من الملفوظات تشترك في نفس المحتوى (ن) ، و مجموعة (أ،) من الملفوظات تشترك في نفس المحتوى (ن،)، بالوجه الذي تكون معه (ن) = (ن،) + و / حيث : و عامل حجاجي من قبيل : تقريبا ، تماما ، بعد ، زال ، أوشك ، قليلا ، كثيرا ... ، فإنَّ :(و) يعتبر عاملا حجاجيا ، إذا كانت إمكانيات الحجاج التي تنتجها (أ) مختلفة عن تلك التي تنتجها (أ)، من غير أن يكون ذلك متولدا من المعلومات التي يضيفها (و) ، أي عن القيمة الخبرية المجردة "[4] . و هذا ما نلخصه في المخطط التالي:

أ ← ن

ن = [ن، + و]

أ، ← ن،

مثال : **(م1)** – عبد القادر في الخامسة من عمره .

(م2) - عبد القادر (**ما يزال**) في الخامسة من عمره.

إن الملفوظ **(م1)** يخلو من أي عامل حجاجي، في حين أن الملفوظ **(م2)** يتضمن عاملا حجاجيا هو : **[ما يزال]**، وقد أدى وجود هذا العامل في **(م2)** إلى زيادة طاقته الحجاجية في الاتجاه الموجب ، لأنَّ عبارة : [ما يزال] لا تضمن أي قيمة خبرية تضاف إلى**(م1)** بقدر ما تؤشر بأن المتكلم يعلمنا أن سن الخامسة سن مبكرة للغاية لمقصد حجاجي محدد[5].

و من ثم فإن تعريف العامل الحجاجي عند **جاك موشلر**" ينص على أن التحويل الذي يحدثه العامل الحجاجي في المحتوى الدلالي للملفوظ الذي يرد فيه ، لا يكون مستمدا من القيم الخبرية التي يضيفها هذا العامل، و إنما من وظيفته التحويلية الخالصة"[6]. فحصر الاحتمالات الممكنة للمعنى(الدور الحجاجي للعامل)، مستقل عن أي تعديل في المضمون الخبري[7].

3-3- وظائف العامل الحجاجي :

إن العامل الحجاجي إذ يدخل على الملفوظ يكسبه ثلاثة مظاهر حجاجية أو ثلاث وظائف حجاجية: [8]

أ- القضاء على تعدد الاستلزامات والنتائج : وهذا بنقل المتلقي من التعدد والغموض إلى وحدة النتيجة والمقصد، بحصر المسالك التأويلية(les chemins interprétatifs) ويتم هذا بنقل الملفوظ من البعد الإبلاغي إلى البعد الحجاجي.

ب- تنشيط المواضع:[9] (L'activation d'un topoi) فالمواضع هي العمدة في ارتباط المعطى (ق) الذي يمكن أن يمثل حجة بالنتيجة **(ن)**، وعلاوة على الوظيفته

التعاقدية بين الحجة والنتيجة ، فإنَّه يعتبر كذلك ضامنا من ضمانات تسلسل الخطاب (L'enchainement du discours) وعنصرا من عناصر تناسق الخطاب.

ج- تقوية التوجه نحو النتيجة **(ن):** وهذا على صعيد ما يسمى بالسلالم الحجاجية، التي يمكن اعتبارها آلية من آليات البرهنة على مقولة التوجه الحجاجي، بل وحجاجية اللغة.

4-3 - التوجيه الحجاجي (Orientation argumentative):

جاء في القاموس الموسوعي للتداولية : " إن الوجهة الحجاجية هي الاتجاه الذي [يعيّن] للقول قصد الوصول إلى هذا القسم من الاستنتاجات أو إلى غيره، إن الوجهة الحجاجية هي خاصية من خصائص الجملة موضوع أداء القول، وهي التي تحدِّد معنى القول"[10] . فمن هذه الزاوية، فإن القيمة الحجاجية للكلمة هي الوجهة التي تحددها للخطاب، و يطابق التوجيه الحجاجي للكلمة معناها (نفسه)[11]. **و من ثم فإن دلالة أي كلمة هي قيمتها التوجيهية ذاتها.**

- **تصورديكرو لمسألة التوجيه الحجاجي:**

يقول ديكرو: " لكي يقدَّم **(ق1)** كحجة تفضي و تقود إلى التسليم بـ **(ق2)** لا يكفي بذلك أن يكون (ق1) من الحجج التي تضمن الإذعان بـ **(ق2)**، وإنما البنية اللغوية لـ **(ق1)** يجب أن تنهض بشروط من شأنها أن تؤهله لكي يكون حجة تقود إلى **(ق2)**"[12]. إننا نتكلم هنا عن حركة من وضع أول(معلوم) إلى وضع ثان(مستهدف) ، قد يكون معلوما (صريحا) أو غير معلوم (ضمني)، وهو النتيجة التي يروم المتكلم استهداف المتلقي بها . فـ " اللغة حجاج محض، و إن الحجاج توجيه صرف" [13].

2-3 التوجيه الحجاجي و الوصف :

إن مسألة التوجيه – وإن كانت مرتبطة بأدوات لغوية محققة لها - فإنّها يمكن أن تتحقق كذلك بواسطة الوصف ، **كون أن فعل الوصف في حد ذاته يمكن أن ينتج**

عنه حصر وتسييج للقيم الحجاجية ، إذ" يرَدُ التوجيه التقويمي للملفوظ الوصفي إلى المعجم المستخدم في تعيين خاصيات الموصوف ، فقد يكون مشحونا قيميا ، فيقتضي حكما معياريا أخلاقيا أو جماليا ، فيكشف بالتالي ذاتية الوصف وموقفه"[14]. فالتوجيه الحجاجي يمثّل جانب الإكراه في توظيف اللغة واستخداماتها الممكنة كما يمكّن من التوصل إلى قصد المتكلم بشكل دقيق و مباشر ، كونه فعالية مهمة محقّقة لنجاعة التواصل برسم حدود التأويل الدقيق.

4- دراسة تطبيقية في مسألة التوجيه الحجاجي (الآيات 103-112) أنموذجا :

يقول الله تعالى في سورة الأعراف (103- 112) [15]:

(ثُم بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾) .

إنّ هذا المقطع الحواري بين موسى عليه السلام و فرعون في سورة الأعراف ، يأتي **كبنية خطابية صغرى** مدرجة في سياق سردي موسع يتمثل في **بنية خطابية كبرى** طرفها الأول هو الله عزّ و جلّ باعتباره **موجّها / منشئا** للخطاب، والطرف الثاني هو الرسول (ص) باعتباره **المتلقي الأول** له[16] ، فلو نستل الحوار الحاصل بين موسى عليه السلام و فرعون من السياق السردي المدرج فيه ، فإنه يكون لدينا المقطع الحواري التالي:

1- موسى: يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ - حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ - قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ [فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿١٠٧﴾ - وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾] (الأعراف)	1 - فرعون: إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾

1-4- قراءة في الفعل التوجيهي المضمن في المقطع الخطابي أعلاه:

1- تدخل موسى عليه السلام:

لقد استهلَّ موسى – عليه السلام – تدخله مخاطبا فرعون بقوله : **يا فرعون**، وهو "خطاب إكرام ، لأنَّه ناداه بالاسم الدال على الملك والسلطان بحسب مُتَعارَف أمته(...)، ولأنَّ الله تعالى قال له ولهارون : (فقولا له قولا لينا)"[17].

إنَّ هذا الاستهلال نلمح فيه **بعدا مهيمنا على متلقي الخطاب**، بمحاولة احتوائه وشدِّه منذ البداية، وتتمثل هذه الهيمنة في الصيغة الخطابية التي تضع فرعون في مرتبة أعلى في السُلَم الاجتماعي، الأمر الذي من شأنه أن يجعله يذعن لما سيطرح عليه أو على الأقل أن يتعاطى بشكل إيجابي مع القضية موضوع الطرح، وفي هذا مدخل جيِّد لخطاب يتصف بسمة المواجهة ، موجَّه لمتلق يُتوَقع منه – بناء على المعرفة القبلية به - أن يكون خصما شرسا ، متوشحا رداء الجبروت والطغيان.

وإذا التفتنا – من زاوية أخرى- إلى قيمة الهيمنة المضمَّنة في خطاب موسى عليه السلام ، نجدها قيمة تناور على سلم القيّم (القيّم الاجتماعية) ، التي قد تسمح **بتسييج المتلقي وتقييده**، بتوليد مقبولية لديه تدفع به إلى النظر نظرة ايجابية إلى المسألة موضوع النظر

وموضوع الاعتبار، و هذا بوضعه خطابيا في أعلى السلم مما يعزز فعل الهيمنة عليه و إحكام فعل الاحتواء.

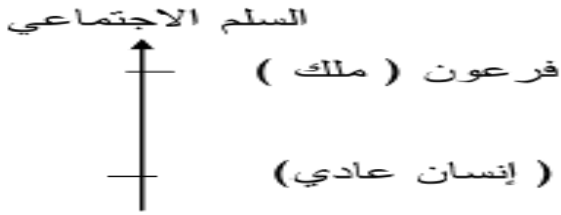

جاء تدخل موسى- عليه السلام - مكوَّنا من ثلاث حجج [18] تمثِّل قضايا جزئية يسند بعضها بعضا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنّ **(الكل)** يسند نفس النتيجة **(ن)**، كما يشكل مجموعها جوهر الطرح و مقتضاه، و هو ما نوضحه بالشكل التالي:

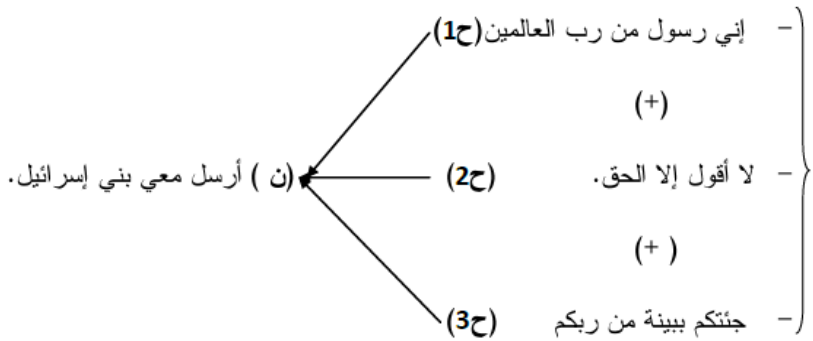

إن الحجَّة الأولى تمثِّل المعطى الأساسي في إثبات الإلوهية لله وحده عزّ وجلّ، ونفيِها عمن سواه ، وهذا بإدارج كل ما هو ممكن من الموجودات تحت وصف خص به موسى- عليه السلام- الله عزّ وجل، وهو وصف(رب العالمين)، وهذا ما يقتضي ضمنيا[19] نفي صفة الألوهية عن فرعون تحت مسوّغ إدماج الجزء في الكل[20].

ووفق تصوُّر برلمان (Perelman) للحجج الخطابية ، فإنّ هذه الحجة يمكن وصفها بكونها حجة شبه منطقية ، جاءت على صورة قياس حملي [21] و فق الترابط التالي :

م1 = الله ربُّ العالمين / ربّ الكل.

م2 = فرعون أحد العالمين/ جزء من الكل.

ن = الله ربُّ فرعون.

ويمكن تلخيص البنية الحجاجية لتدخل موسى عليه السلام- في هذا المقطع بالشكل التالي:

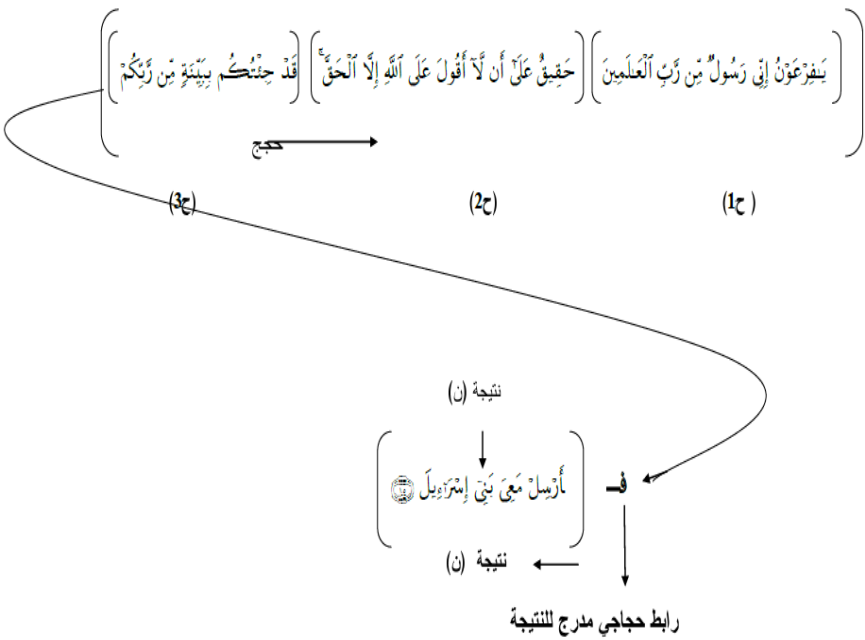

حيث يشكّل مجموع الحجج (ح1) +(ح2) + (ح3) حجة كبرى يمكن الرمز لها بـ :(ح ك) التي تؤدي إلى النتيجة (ن).

2- **تدخل فرعون:**

جاء موقف/ ردُّ فرعون ، متمثلا في الامتناع عن تصديق دعوى موسى – عليه السلام – [22] ، ولأنَّه لم يكن مقتنعا " بخطاب العقل، أو قاصرا عن النظر فيه، انتقل إلى طلب خارق العادة "[23]، وهذا سبب وجيه في جعل المواجهة تتحول من مستوى(الخطاب) إلى مستوى(الفعل/ العمل) ، وهو ما يمثّل تحولا من المجرد إلى المحسوس.

يقدم لنا القرآن الكريم نتائج هذا التحول في نتيجتين:

(ن1) = فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ ..... فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ .

(ن2) = وَنَزَعَ يَدَهُ..... فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾.

ويمكن تصور التبادل الحجاجي الذي دار بين موسى – عليه السلام – وفرعون، على أنه يؤدي في كل الأحوال إلى نفس النتيجة – التي تشكل جوهر المواجهة – وهي ربوبية ربِّ العالمين ووحدانيته في كل الأحوال، وهو ما يمكن توضيحه بالرسم التخطيطي التالي:

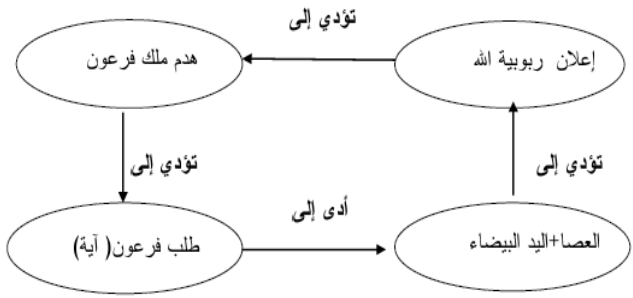

2-4- في فعل التوجيه النصي للمقطع الحواري :

يأتي هذا المقطع الحواري موضوع التحليل ، متعلقا بسياق واقع قبله مباشرة، والذي نصه:

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾، (الأعراف/ **101–102**).

يقول الطاهر بن عاشور في تعليقه على هاتين الآيتين:" لما تكرَّر ذكر القرى التي كذَّب أهلُها رسل الله بالتعيين والتعميم، صارت للسامعين كالحاضرة المشاهدة الصالحة لأن يشار إليها ، فجاء اسم الإشارة [تلك] لزيادة إحضارها في أذهان السامعين من قوم محمد

(ص) ، ليعتبروا حالهم بحال أهل القرى فيروا أنهم سواء، فيفيئوا إلى الحق"[24]، وهو تعلق **يفصح عن وجهة الخطاب** الذي بعده (المقطع الحواري)، والهدف الذي يرومه.

ويقول بن عاشور – أيضا- معلقا على المقطع الحواري موضوع التحليل : " ولأنّ حال المرسل إليهم أشبه بحال من أرسل إليهم محمد (ص) ، فإنَّهم كانوا فريقين ، اتبع أحدهم موسى وكفر به الآخر، كما اتبع محمد عليه الصلاة والسلام جمع عظيم وكفر به فريق كثير ، فأهلك الله من كفر ونصر من آمن "[25] .

ويقول في سياق لاحق : " والخطاب للنبي (ص)، والمراد هو ومن يبلغه، أو مخاطب غير معين، وهو كل من يأتي منه النظر والاعتبار عند سماع هذه الآيات، فالتقدير: انظر أيها الناظر"[26]، فصيغة هذا المقطع الحواري جاءت تحاكي وتعزز الخطاب الموجّه من طرف محمد (ص) إلى قومه ، كون أن مواجهة الأنبياء لأقوامهم متراسلة في التماثل مع مواجهة النبي(ص) لقريش ، وهو ما يودي إلى حتمية تشاكل النتائج في كلتا الحالتين .

وفي هذا المنحى تقريبا يذهب سيد قطب في تعليقه على الآيتين (103- 104 من سورة الأعراف)، واللتين تأتيان قبل حوار موسى– عليه السلام – وفرعون مباشرة ، في قول الله تعالى :

(ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ)

يقول : " القصة هنا تبدأ بمجمل عند بدئها وعند نهايتها يوحي بالغرض الذي جاءت من أجله في سياق هذه السورة (...) فيصرّح النص بالغرض من سياقة القصة في هذا الموضع(...)إنَّه النظر إلى عاقبة المفسدين، وبعد ذلك الإجمال الموحي بالغاية ، تعرض الحلقات التي تفي بهذه الغاية وتصورها تفصيلا(...) ، القصة تقطع إلى مشاهد حيَّة تموج بالحركة والحوار، وتزخر بالانفعالات والسمات، **وتتخللها التوجيهات إلى مواضع العبرة في السياق**، وتكشف عن طبيعة المعركة بين الدعوة إلى (رب العالمين) وبين الطواغيت المتسلطة على عباد الله ، المدّعية للربوبية من دون الله "[27]، وهو ما يكشف لنا عن تفاعل خاص بين وضعين ، وضع مضى و انقضى متمثل في وضع موسى – عليه السلام- مع

فرعون، ووضع مستجد متشابه مع الوضع المنقضي، يمثِّله حال النبي محمد(ص) ، **وفي التعالق الذي يقيمه القرآن الكريم بين الوضعين، دعوة للنظر والتدبر والاعتبار.**

5- الخلاصة :

من خلال عرضنا لمسألة التوجيه الحجاجي كما وردت في أدبيات الدرس التداولي الغربي ، و كذا مقاربتنا حجاجيا للآيات المذكورة سلفا من سورة الأعراف نجد أن النص القرآني ومن خلال تقديمه لنا لهكذا نماذج يعمل على **توجيه المتلقي** ، انطلاقا من أن الفعالية الخطابية التي تنتج عن طرفين (متكلم / متلق) داخل النص القرآني هي في **حد ذاتها توجيه لمتلق يقع خارج دائرة النص.**

هوامش البحث :

[1]- للتفصيل أكثر في هذه المسألة ينظر: كمال بخوش، الأسس المعرفية لمقاربة النصوص الحجاجية ، عرض مفهومي لمصطلحي (الحجاج اللغوي) ، و (العامل الحجاجي) ، مجلة تعليميات ، تصدر عن مخبر تعليمية اللغة والنصوص (جامعة المدية)، الجزائر العدد : 09 ، جوان 2016 ، ص 339-352.

[2]- O.Ducrot : : le dire et le dit , les éditions de minuit paris ,(1984).p 181

[3] - يميز جاك موشلر بين نوعين من العوامل التي تحدد الوجهة الدلالية للملفوظ : العوامل الخطابية والعوامل اللغوية. فالعوامل الخطابية عنده هي ضروب التعقيب و الاستئناف التي يسمح بها الملفوظ . أما العوامل اللغوية فالمقصود بها هو حضور الواسمات اللغوية المختصة في تعيين الوجهة الحجاجية، وتسمى هذه الواسمات عنده عوامل حجاجية . والعامل الحجاجي – حين يجري في الجملة – يقيّد احتمالاتها عندما يعيّن لها وجهة حجاجية . مثال:

1- (أ) . ستفلس .(إن ثمن هذه البضاعة 200 فرنك)

(ب) . ستوفر مالا كثيرا . (إن ثمن هذه البضاعة 200 فرنك).

ففي المثالين (أ) و (ب) يكون القول : (إن ثمن هذه البضاعة 200 فرنك) محايدا من ناحية الوجهة الحجاجية، فيمكن أن يؤدي إلى النتيجة : ستفلس. كما يمكن أن يؤدي إلى النتيجة المعاكسة : ستوفر مالا كثيرا.

في حين أن وجود التعقيب : ستفلس في (أ) ، سيحصر النتيجة في اتجاه واحد وهي أن: (البضاعة باهضة الثمن) . و الأمر نفسه مع التعقيب : ستوفر مالا كثيرا في (ب) ، حيث سيكون حصر النتيجة في اتجاه: (البضاعة رخيصة الثمن).

فالتعقيب : ستفلس / ستوفر مالا كثيرا ، هو الذي يحدد الوجهة الحجاجية للقول، وهنا نتكلم عن عوامل خطابية.

2- (أ) . إن ثمن هذه البضاعة(لا) يساوي (إلا) 200 فرنك.

فهذا القول لا يصلح إلا لنتيجة فحواها : بضاعة رخيصة الثمن./ ستوفر مالا كثيرا. نتيجة تقييد الوجهة الحجاجية للقول بالعامل : (...لا...إلا...) . وهنا نتكلم عن عوامل حجاجية.

للتوسع أكثر ينظر جاك موشلر و آن روبول: القاموس الموسوعي للتداولية ، ، تر: مجموعة من الأساتذة (إشراف عز الدين المجدوب)، المركز الوطني للترجمة.تونس،ط2(2010). ص337- 338.

[4] - J .Moeschler : argumentation et conversation ; Hatier –credif , (1985.) , p 62 .

[5] - ينظر رشيد الراضي : الحجاجيات اللسانية و المنهجية البنوية (ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته) ، عالم الكتب الحديث، الأردن ، ط1 (2010) ج 2ص 99.

[6] - نفسه.

[7] - جاك موشلر و آن روبول : القاموس الموسوعي للتداولية ، ص 338.

[8] - عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس ، تونس(2011)، ص 35.

[9] - إن مفهوم الموضع (جمعه مواضع)، الذي أستعير من مواضع أرسطو ، مفهوم يعيّن مبادئ مقبولة داخل مجموعة لغوية ، وهذه المبادئ تكون بمثابة الدعائم للعملية الحجاجية ، فإذا برزت رغبتي – مثلا - في متابعة سباق دورة فرنسا للدراجات عند بلوغه نقطة ألب هواز (L'Alpe d'huez) بالقول : (سأتابع مرحلة الوصول الى نقطة : ألب هواز ، في الرحلة الأهم في سباق الدورة). فإنما أشير إلى موضع من نوع : لا يجب أن تفوتك الأحداث الرياضية الكبيرة. ينظر جاك موشلر: القاموس الموسوعي للتداولية ، ص340.

- في هذه النقطة نشير إلى أن وجود الروابط و العوامل الحجاجية ، لا يكفي لضمان سلامة العملية الحجاجية ولا يكفي أيضا لقيام العلاقة الحجاجية، بل لا بد من ضامن (مبدأ حجاجي) يضمن الربط بين الحجة و النتيجة، و الذي يتميز بـ:

1- أنه مجموعة من المعتقدات و الأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة .
2- العمومية: يصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة و المتنوعة.

3- التدرجية :(la gradualité) : إنَّه يقيم علاقة بين محمولين تدرجيين ، أو بين سلمين حجاجيين.

4- النسبيَّة : فإلى جانب السياقات التي يتم فيها تشغيل مبدأ حجاجي ما ، هناك إمكانية إبطاله ورفض تطبيقه، باعتباره غير ملائم للسياق ، أويتم إبطاله باعتماد مبدأ حجاجي آخر مناقض له . للتوسع في هذا المفهوم ينظر أبوبكر العزاوي : الحجاج في اللغة ، (ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته عالم الكتب الحديث،الأردن،ط1 (2010) ج 1 ص 66 وما بعدها.

[10] - جاك موشلر: القاموس الموسوعي للتداولية ، ص 337.

[11] - باتريك شارودو : معجم تحليل الخطاب ، تر:عبد القادر المهيري وحمادي صمود ، المركز الوطني للترجمة ، تونس (2008). ص 399.

[12]- . J. C. Anscombre et O. Ducrot : L'argumentation dans la Langue , pierre mardaga , (1983).p 81.

[13] - عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، ص 31.

[14] - ينظر محمد القاضي وآخرون : معجم السرديات ، دار محمد علي للنشر، تونس (2010) ص125.

[15] - سورة الأعراف هي سورة مكيَّة نزلت معدودة في الرتبة التاسعة والثلاثين في ترتيب النزول ، اشتملت على عدة أغراض ، منها النهي عن اتخاذ الشركاء من دون الله ، و إنذار المشركين عن سوء عاقبة الشرك في الدنيا والآخرة ، ووصف ما حلّ بالمشركين والذين كذبوا الرسل من سوء العذاب في الدنيا وما سيحلّ بهم في الآخرة ، كما أفاضت في ذكر أحوال الرسل مع أقوامهم المشركين ومما لاقوه من عنادهم وأذاهم ، كما أطالت القول في قصة موسى عليه السلام مع فرعون و في تصرفات بني إسرائيل مع نبيّهم ...إلخ، من الأغراض التي تروم في توجيهها متلقي القرآن بدعوته إلى النظر والاعتبار في ما تعرضه السورة من أحوال الغابرين و مآلات المنكرين للحق عبر الأزمان، وهي كلُّها مرام لها أبعادها التوجيهية و أبعادها الحجاجية.

للتوسع في التعريف بسورة الأعراف والأغراض التي اشتملت عليها ينظر الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر، تونس(1984) ج 8 (القسم الثاني) ص 06 وما بعدها.

[16] - ينظر كذلك : كمال بخوش ، فاعلية البعد الاستدلالي و الحجاجي في متلقي الخطاب ، ضمن كتاب الحجاج و الهرمينوطيقا في الخطاب ، انطولوجيا الهوية و الرسالة ، عالم الكتب الحدث ، الأردن(2020) ، ص 550 و ما بعدها

[17] - الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير. ج9 ص 37.

[18] - يقول فخر الدين الرازي :" اعلم أن دليل موسى -عليه السلام - كان مبنيا على مقدمات: 1- إحداها أن لهذا العالم إلها قادرا عالما حكيما . 2- أنَّه أرسله إليهم . 3- أنَّه متى كان الأمر كذلك ، كان كل ما يبلِّغه من الله تعالى إليهم هو حق وصدق" . ينظر: تفسير الفخر الرازي ،(المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب) . دار الفكر ، دمشق (1981) ج14 ص19

[19] - يشكل موضوع الاقتضاء ببعديه الدلالي والتداولي أحد أهم موضوعات الدرس التداولي المعاصر، لما له من دور في المستوى النصي في ما يتعلق بتماسك النص و اتساقه، والمستوى الخطابي0 بشكل عام و التخاطبي(التفاعلي) بشكل خاص لما له من أدوار مميّزة لا سيما ما ارتبط منها بالبعد الحجاجي، حيث يعتبر الاقتضاء (باعتباره عملا لا قوليا) على أنَّه قاسم مشترك بين المتخاطبين ، ويتسم بمقبوليته بينهما، ومن هنا جاءت قوته الحجاجية ، وهذا بدفع المتلقي إلى تبني الطرح أو القضية المطروحة عليه (المتضمنة في القول) بصفة عفوية وآلية .

لقد صوّر ديكرو(Durot) القول وضمنياته (الاقتضاء / التلميح) بالبنية الخطابية التالية:

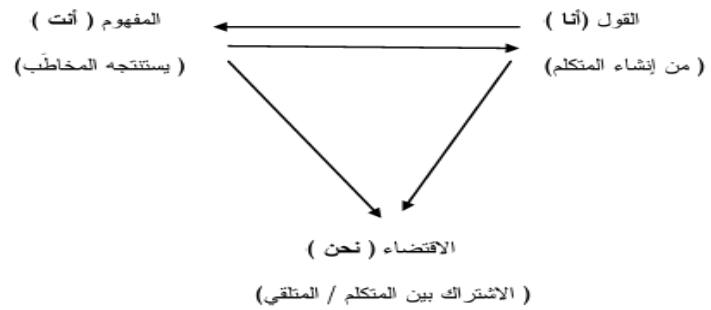

يقول ديكرو: " [أما] المنطوق فهو ما أثبته أنا بصفتي متكلما . و[أما] التلميح/ الاقتضاء فهو ما أقدمه على أنه مشترك بيني وبين مخاطبي(...) و[أما] المفهوم فهو ما أترك مخاطبي يستنتجه من كلامي " .

للتوسع ينظر: .Ducrot : le dire et le dit ; p 20 . و أيضا : شكري المبخوت :نظرية الحجاج في اللغة (ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)،منشورات كلية الآداب ، جامعة منوبة (تونس) . د .ت. ، ص373 وما بعدها

[20] - يقول الطاهر بن عاشور في هذا السياق : " اختار صفة (ربّ العالمين) ، إبطالا لاعتقاد فرعون أنَّه ربُّ العالمين (...) فلما وصف موسى مُرسِلَهُ بأنَّه رب العالمين ، شمل فرعون و أهل مملكته ، فتبطل دعوى فرعون أنَّه إله مصر بطريق اللزوم ، ودخل في ذلك جميع البلاد والعباد، الذين لم يكن فرعون يدعي أنَّه إلههم مثل الفرس".ينظر: التحرير و التنوير، ج9 ص36.

[21] - القياس الحملي هو استلزام قضية تسمى النتيجة من قضيتين حمليتين هما المقدمتان ، و تشترك كل من المقدمتين بأحد الحدين مع المقدمة الأخرى ، وبالحد الأخر مع النتيجة ، والحد المشترك بين المقدمتين هو الحد الأوسط ، أما الحدّان الباقيان فما كان منهما موضوعا للنتيجة يسمى الحد الأصغر ،وما كان محمولا يسمى الحدّ الأكبر. / للتوسع ينظر سمير خير الدين : القواعد المنطقية ، معهد المعارف الحكمية ، بيروت (2006) ، ص273

[22] - إنَّ الامتناع عن تصديق الدعوى تمثَّل أبرز الفعاليات الحجاجية التي يمكن أن تشكل عقبة في طريق الحوار، كما أن عدم تصديق الدعوى البديهية لن يكون إلا مكابرة ، وهنا نشير إلى إمكانية منع الدعوى المسنَدَة إلى دليل وهذا بمنع دليلها ، إما بمنع التسليم بصدق إحدى مقدمتيه، وإما بمنع التسليم بصحة لزوم النتيجة من المقدمتين عند قبول النتيجة. للتوسع أكثر ينظر محمد يعقوبي : المنطق الفطري في القرآن ،. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر(2000). ص65

[23] - الطاهربن عاشور: التحريروالتنوير، ج9 ص40.

[24] -الطاهربن عاشور: التحريروالتنوير، ج9 ص 29.

[25] - الطاهربن عاشور: التحريروالتنوير. ج9 ص34.

[26] - نفسه . ج9 ص 36.

[27] - سيد قطب : في ظلال القرآن ، دارالشروق . مصر. ط1(1972). ص 1344.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊